نحو تعليمية الشعر الملحون في التعليم الجزائري. شعر سيدي لخضر بن خلوف نموذجاً.

حمو عبد الكريم
باحث بـ (م.و.ب.أ.ا.ث)(crasc)وهران

ملخص:

إن الغايـة الـتي نـروم إليهـا مـن خـلال هـذا المقـال الموسـوم بـ **"نحـو تعليمية الشـعر الملحـون في التعلـيم الجزائـري"**؛هـي العمـل علـى تمكـين هـــذا الحقـــل التراثـــي الشـــعري الشـــعبي في الأوســـاط التعليميـــة والأكاديميـــة، وتناولـــه كغـــيره مـــن المـــواد بالتحليـــل والمناقشـــة والتوصـــيف؛ واعتمـــاده كمدونـــة معرفيـــة تتمتـــع بكـــل الميـــزات والشـــروط العلميـــة، ولهـــذا نطلـــق من الإشكالية التالية:

مـــا هـــي مميـــزات الشـــعر الملحـــون؟ وهـــل يمكننـــا اعتبـــار الشـــعر الملحـــون مدونة وافية للبحث والتدريس؟

Résumé :

La finalité optée par ce présent article est « Pour une didactique de la poésie populaire dans l'enseignement Algérien ». À l'instar des autres matières déjà présentées dans le secteur d'enseignement, cette finalité vise également à intégrer ce patrimoine populaire dans le contexte didactique et académique par l'étude et l'analyse en le considérant comme support cognitif avec ses propres spécificités.

Notre interrogation porte donc sur les spécificités de ce genre de poème et la possibilité le considérer comme support et objet de recherche et d'enseignement.

OOO

مقدمة:

يتـألف الأدب الشـعبي مـن عناصـر ثقافيـة مُكونـة هـي مـن ابتكـار العقـل الجمـاعي، ولـذلك يكـون الـتراث إنتـاج محصـلة بشـرية تنـادت في ميـادين فنيـة وأدبيـة واجتماعيـة؛أي كـل مـا يشـكل العـادات والتقاليـد مـن

طقوس وأمثال وقصص وأشعار...معنى هذا أنه يمكننا تقسيم الأدب الشعبي إلى شعر ونثر؛ يتمثل الشعر في الأزجال والمواويل والملحون والأغاني...ويحوى النثر على الحكي كالأمثال والأحاجي والقصص..."والمواضيع الأساسية لهذا الأدب هي المجد القديم، والفتوحات والانتصارات الأسطورية لأبطال التاريخ الإسلامي، وحب الله ومدح الرسول(ص)،وتعظيم وتقديس القيم الاجتماعية التقليدية، الآمال والآلام المتعلقة بالجماعة"[1].

وبالتالي فبيئة الأدب الشعبي هي معطيات اشترك فيها الملفوظ والمكتوب والمتخيل والمسموع،وقد امتلأت الخزانة الأدبية بموروث شعبي لازال يقرأ إلى اليوم كسيرة "سيف ذي يزن"، وبطولة "عنترة بن شداد العبسي، وقصة "زرقاء اليمامة"، وقصة "ألف ليلة وليلة"، وقصة "شهرزاد" أو حروب "الظاهر بيبرس"...وغيرهم كثير[2].

وهذه البيئة مترابطة في تشكيلها ممتزجة بعناصر البناء؛ منها ما هو فرعوني وروماني وإسلامي وفارسي وعثماني ومملوكي...وقد استلهم الكتاب والروائيون والشعراء والمخرجون هذا التراث ووُظفوه بأساليب جديدة وتقنيات حديثة، وأصبح الأدب الشعبي مَعين يشرب منه الأدب الحديث في أعماله الروائية والمسرحية والشعرية والقصصية... فهل يتمتع الشعر الملحون بهذه الخاصيات؟

1-الشعر الملحون:أو ما يسمى بـ (الشعر الشعبي)[3]، هو فن شعري وغنائي متميز، وقد يطرب السَامع عن سماعه لما له من قيمة فنية، وكوامن جمالية ينصبغ على النَّفس والعقل، وإذا كان هذا شعور جل أو كل المتلقين، فإنَه من الدواعي الأكيدة عند الباحث في فن الملحون رصد تلك البواعث والتجليات، وتفحصها بعناية تامة حتى تتكشف أسرار قوة تأثيره الفنية في السَامع المتذوق، وفي غيره من الفنون الحديثة.

وقدانصرف مصطلح الشعر الملحون كما أورده ابن منظور(ت:711هـ)في لسان العرب إلى معان كثيرة منها: الخطأ في الإعْرَاب، واللغَةَ، والغِنّاء، والفِطْنَة، والتَّعْرِيْض والمَعْنَى...الخ[4].

أ-أما اللَّحن الذي هو الخطأ في الإعراب يقال عنه: لَحَنَ في كلامه بفتح الحاء يَلحَنُ لحناً فهو لحَّانٌ ولحَانَةٌ"[5]،وقد ظهر في كلام

الموالي والمتعربين من عهد النبي عليه السلام[6]،وهو عدم الالتزام بالحركات الإعرابية، كرفع الفاعل ونصب المفعول به... وما وقع من زلات في قراءة القرآن لدليل على الخطأ في اللّحن (الإعراب)[7].

ب- اللغة كما في ذكر عمر بن الخطاب (ض) على تعلمها بقوله:"**تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَاللَّحْنَ وَالسُّنَنَ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآن**"[8].

ت-الغناء وترجيع الصوت والتطريب، كما في قول يزيد ابن النعمان:

قَدْ تَرَكْتْ فُؤَادَكَ مُسْتجِنّاً
مُطَوقةٌ على فَنَنٍ تَغنَّى
يَمِيْل بهَا وَتَرْكَبُه بلَحْن
إذا مَا عَنَّ للمحزون أَنَّا
فلا يَحزُنْكَ أَيامٌ تَولَّى
تَذكُّرُها، ولا طيرٌ أَرنَّا[9]

ث- الفطنة، كأنّ اللحن في العربية راجع إلى هذا، لأنه من العدول عن الصواب، وقال عمر بن عبد العزيز:"عَجِبْتُ لمن لاحَنَ الناسَ ولاحَنُوه كيفَ لا يعرفُ جَوامعَ الكَلِم، أَي فاطَنَهم وفاطَنُوه وجادَلَهم"[10]؛ ومنه قيل: رجل لَحِنٌ إذا كان فطناً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْكُمْ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[11].

ج- التعريض والإيماء، كقوله عليه الصلاة والسلام وقد بعث رجلين إلى بعض الثغور ليكونا عيْنا فقال لهما: "إِذَا انْصَرَفْتُمَا فَالْحَنَا لِي لَحْناً؛ أَي أَشيرا إِليّ ولا تُفْصِحا وعَرِّضا بما رأَيتما أَمرهما بذلك"[12].

ح- المعنى والفحوى كقوله تعالى:(ولتعرفنهم في لحن القول)[13]؛بمعنى إزالة الكلام عن جهته،ومعنى الآية: ولتعرفنهم من جنس قولهم بما يشتمل عليه من الكناية والتعريض[14].

فحين ننظر في التفسيرات نجدها متنوعة وتحمل دلالات كثيرة، في حين أن دارسوا الملحون قد ركزت أبحاثهم على معنيين اثنين:أولهما

أنّ الملحون متصل بالموسيقى والغناء، وثانيهما مرتبط بعدم الإعراب[15].

وهذا المعنى أشار إليه من قبل إمام علم الاجتماع ابن خلدون(ت:808ه)، في المقدمة بعد أن تكلم عن الشّعر باللغة العامية فقال: "وَرُبَمَا يَلْحَنُون فِيْه أَلحاناً بسيطة لا على طريقة الصِّناعة الموسيقية"[16]، ونجد هذا الرأي موافق لما قاله الأستاذ محمد الفاسي[17]، حيث أكد أنّ لفظة الملحون هنا مشتقة من "اللَّحْن" بمعنى الغناء، لأنّ الفرق الأساسي بينه وبين الشعر العربي الفصيح، أن الملحون يُنْظَم قبل كل شيء لكي يُغنى به[18].

وبالتالي فالشعر الملحونيتمتع برصيد شعري وغنائي هائل، مما يجعله مؤهلاً بامتياز للتقاطع مع العديد من فنون الكلام، والتفاعل مع عدد من ألوان الإبداع، وقد تتفاعل في نسيج قصيدة الملحون دعائم فنية تقوي لغة شعره، مثل الحكي والقص والحوار والوصف والتشخيص، مع الانفتاح على أفق الخيال المبدع للصور أحيانا تتجاوز الصور التشبيهية التقريبية أو الجزئية إلى الرمز والإشارة.

ولم يعتمد شاعر الملحون على الطبيعة المصدر الأوحد في بناء صوره الفنية؛ بل اعتمد أيضا على خياله الفسيح الذي وظفه في استنطاق الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي يحياها محيطه، ولا يفوتنا الجانب العاطفي الذي يُعْنَى بالتحبب والتعشق أمام المحبوب، وقد كان حضور المرأة فوق باقي الموجودات التي جرت العادة أن يشبه بها جمالها من خلال قلب الأدوار بين المشبه والمشبه به، مثل تشبيه الظبي بعيون محبوبته، وسمو ضياء جمالها على نور الشمس ساعة الضحى...وغيرها من الرافد الفنية والطبيعية التي غذّت محيط "الشعر الملحون".

وبالتالي فالثقافة العامة التي يستقيها "شاعر الملحون" تتجلى فيما يستدعيه من تراكمات تراثية وصوفية وفلسفية وأدبية.

ولقد اقتبس هؤلاء الشعراء من اللغة الفصيحة أسماء وأفعال وصفات وحروف، وذلك لتوسيع ألفاظهم ومعانيهم ومعارفهم، فاللغة العربية هي لغة عبقرية لا تدانيها لغة في مرونتها واشتقاقاتها، وخاصة فيما يتصل بالفعل والاسم،فمثلا مادة الفعل الثلاثي اللاَّزم (دار) قد اشتق منها: دَوَّرَ، ودَاورُ، وتَدُور، وأَدَارَ، واسْتَدَار، ودُوْر، ودَوَران، ودَوَّار، ومَدَارُ،

ومُـــدِير، ودَوْرَة، ودُوَارُ، ودَوَارَة، ومُـــدَارَة... وهـــذا دليـــل علـــى خصـــوبتها وحيويتها.

ونجد هذا القول بشكل واضحفي أشعار سيدي لخضر بن خلوف، وسعيد المنداسي، ومصطفى بن إبراهيم، ومحمد بن مسايب، وعبد القادر الخالدي وأحمد بن الزيكي، محمد بن سهلة، ومحمد بن قيطون، ومحمد بن طيبة، والطاهر بن حوا، وبوعلام بن طيب، وأحمد بن حراث...والقائمة طويلة لا نقدر على ذكرهم كلهم.

2- تركيبة الشعر الملحون:

فهو كمدونة شعرية ينطلق من:

أ- اللغة(اللهجة): ينطق بأحرف عربية سواء كانت كتابية أو شفاهية، وهذه اللغة التي قيل بها الشعر الملحون هي لغة ألفاظها واضحة ومستوياتها معلومة.

ب- الرمز والدلالة: ما يحويه الملحون من بسط للمعاني والمفردات الدلالية شيء لا يستهان به، فوجب تثمينه والاعتكاف على تعريته للمتمدرسين والقراء. ولنا في قصائد سيدي لخضر بن خلوف معالم دلالية ثرية منها(يا كوثر اللبن فيك غاب قطراني، ألا وجه الحبيب غاب، ابقاو بالسلامة بيك طاب السموم ويدخر الزبيب لولا أنت ما كان خلقنا من تراب...)

ب- وثيقة تاريخية: إنّ ما يقدمه الملحون من وقائع تاريخية وسير وبطولات ومقاومات، تستدعى منا إعادة قراءته على أكثر من وجه، فأول من تناول قضية دخول فرنسا للجزائر هو عبد القادر المازوني في قصيدته الشعرية الملحونة، وأيضا القصيدة التي سجلت حدث هجمة "الدغارك" الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر، وهي من نوع الشعر الملحون دونها الشاعر ولد عمر مطلعها:

بسم الله نبدا وفا ذا القصة تعانا

قصة ذا "البونية" المتلفة كيف جابوها اعدانا[19].

ت- القيمة التربوية والإصلاحية: فلقد وجدنا في كثير من القصائد الشعرية، طاقة تربوية وإصلاحية يعجز عنها الخطيب المفوه، وها هو شاعرنا سيدي لخضر بن خلوف في جل أشعاره يرنوا إلى التربية السلوكية، والاتعاظ بالحوادث، والجنوح إلى السلم. ومن هذه

القصائد:(ربي اهدي تارك الصلاة، يا للسان الموذي ورثتني العار، يا رب ارحمني...)

ج- القيمة الاجتماعية: يعطينا الشعر الملحون صورة الحياة الاجتماعية السائدة، ويوصف لنا العلائق المشتركة بين أفراد المجتمع ونمط عيشهم وتفكيرهم... مثال(يا رسول الله أنا كثير لأصحاب، أهلا ومرحا بكم يا حجاج...)

3-لغة الشعر الملحون:

لعل هذا الفن الشعري يمتاز بلغة خاصة به، أو ما يسمى بـ"لغة الشعراء"، فهذه اللغة فيها الفصيح وفيها العامي أو(اللهجة) المحلية، وعلى الشاعر أن تكون له آليات الملفوظ وأدوات الخطاب الشعري، ومراعياً السياق العام للخطاب الشعري.ثم بالغوا في الاقتباس حتى ادى بهم إلى إدخال الغريب من كلام العرب في أشعارهم، وبذلك تكثر المعاني وتتولد المفردات، وقد أحصى محمد الفاسي في إحدى دراسته أكثر من عشرين كلمة وصفت بها الغزال: منها: الجفال، الزهزوم، الصياح، العمهوج....وغيرها[20].

أ- <u>حروف الشعر الملحون:</u>

تعلق شعراء الملحون بالحرف العربي، فنسجوا على منواله قصائد طِولا مستمدة من حروف الهجاء العربي، وإنْ دَّل هذا على شيء فإنَّه يدل على تعلقهم بلغة العربية وللثقافة العربية، ففي قصيدة الشّاعر الجزائري سيدي لخضر بن خلوف نجدهاجاءتعلى حسب حروف الهجاء العربي، وقد ابتدأها بحرف الألف، وهذه القصيدة تثبت ما مدى تعلق شعراء الملحون بالحرف والمفردة والجملة العربية، لهذا ينسجون قصائدهم وأشعارهم ويعرضونها على مُريدهم وأحبائهم في المناسبات والأفراح والجلسات، يقول محمد قاضي(ت..):"لأنه لولا وجود اللغة الملحونة بوطن الجزائر لبقي الكثير فينا أبكم يضيق صدره ولا ينطلق لسانه"[21].

تبدأ القصيدة بـ:

أَلِيفْ استثملُوا كْلامي يا حُضْرة والتَمُوا جمْع نَذكروا ذو الجلالِ
مَنْ بعد الذكْر نمدحُوا طِير الخَضرَاء مجموع الحسْنْ والبْها والكمالِ

ثم يقول:

صَلَى الله عْليه قدْ حْروف أليفْ البَارَقْليطْمَاذْمَاذْ المفضَّلْ
صَلَى الله عْليه قدْ حْروف البا بُو الطَّاهرْ تَاجْ الأنبياء سِيد الثَّقَلينْ
صَلَى الله عْليه قدْ حْروف التا محمد سِيد البَشَر وَاتَاه القَولْ

إلى أن يصل إلى قوله:

صَلَى الله عْليه قدْ حْروف الواو وبالله التوفيق يا رْحيمْ[22].

ونجد قصيدة أخرىللشاعر سعيد المنداسي توافق حروف الهجاء التي كان مطلعها:

ألِفْ ألفْتْ الهْوى واضْحى لي حَلفْ في قلبي دَارُه دايرْباطْرافي
البَا باحت دَمْعي باسْرار القَلْب شُوف لخدِّي تلحَق المعنى مكتُوبْ

إلى أن يصل إلى آخر حرف:

الْيَا يَبرَى مَن صَبره داهْ على الكيْ ما يجهلْ منْ خالطْ الطب دْوَايَ[23]

ومن الشعراء من نسج قصيدة كاملة فيها حوالي خمسين بيتاً شعرياً على حرف "الطاء" سواء في صدر البيت أو في عجز البيت(القافية)، مثلما فعل الشَّاعر "الحاج خالد" واصفاً اشتياقه لبيت الله الحرام (مكة المكرمة)فقال:

تْخَوضْ بَحْري ماء وُريح وتْخَلْطُوا وارْيَاح الشُّوق بْشَدْ عَاصِفْ تْسُوطْ
الاَمْطَار تْعَجَّجْ والاَمْواجْ يَزَروْطُوا مَاهُمْ يلَعبْ عْلَى اشْفَار الْحْيُوطْ
خُفْتْ احْنَاقِي مَنْهُم جْميع لا يقَّنْطُوا لاَقِي يا رَبِّي في نْهَار مَبْسُوطْ[24]

ومن شدة تعلقهم باللغة العربية ومعرفتهم التَّامة للشِّعر العربي والقرآن الكريم والحديث الشريف كانوا ينقلون ألفاظ الشِّعر الفصيح إلى لغة شعرية ملحونة[25]، وهذا ما نجده في قصيدة سعيد المنداسي إذْ يقول:

رَأيتُ بعين البَّدر يمشي على الأرض يميل إلى بعض ويَعْرضُ عن بعضٍ
فكبرتُ إجلالاً وقَلَت لصاحبي متى بدْرُ السَّما نزل إلى الأرضِ

وقد نقلها إلى الملحون فقال:

فِي الارْضْ البدْر حق رِيتُه يتْمَشَّى يَعرضْ عنْ بعضْ بالجفَا ويْميلْ لْبعضْ
كبَّرتُ وقلت جَلْ صَوَّرْ وانْشَى ايوَاكْ بدْرْ السْمَا يمشِي في الارْضْ[26].

ومن خلال هذه النماذج وغيرها، ندرك أن شعراء الملحون يستمدون طاقتهم الشعرية من معجم اللغة العربية، وبالأخص

"القرآن الكريم"، ومن ديوانهم الذي ليس لهم ديوان سواه وهو "الشعر".

ب- ألفاظ الشعر الملحون:

في كثير من قصائد الشعر الملحون نجد بعض ألفاظها فصيحةوُظفت في الشعر الملحون، لكنها موجودة في سمت العرب وفي دواوينهم، و"لم يكتف الشعراء بالاقتباس من الفصحى بل عمدوا إلى العامية واستوعبوا أسماء الأزهار والألوان والأطعمة والطيور والحيوانات كلها،والأشجار والملابس والأسلحة وآلات الموسيقى وأواني المنزل والأثاث، وأدوات الصانع فادخلوا كل ذلك في لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها؛ بل حتى صار ذلك من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليس لهم ممارسة ومعرفة خاصة بهذا الإنتاج الأدبي الضخم"[27].

كما أن كتابة الملحون تطرح إشكاليات عديدة تتعلق باختلاف المبنى والمعنى عند التدوين، فتنحرف المعاني عن أصولها مثل تغيير كلمة (السور) بـ (الصور)، و(الدر) بـ (الضر)، و(القياس) بـ (القياص) انسجاما مع أسلوب نطقه مع إدراك المفارقة بين الرسمين في الدلالة، ويكون الاختلاف كذلك في نفس القْصيدة المكتوبة على كناش أو جلد مدبوغ (الجفريات مثلا...)، ونأخذ أمثلة شعرية تثبت ما مدى فصحة ألفاظ الشعر الملحون.

1- يقول الشاعر مصطفى بن ابراهيم في قصيدته "يا سَعْدي بأهل التل"

(أ)- نْظرت عَيني مْكسور من شْفَرها تْهَاب مَن **الهَدْرَةكْميت** اسراري

* الهَدْرة: أصلها "الهذرة": و:(صِيغَةُ فَعَّال لِلْمُبَالَغَةِ). "رَجُلٌهذار: تكلَّم بما لا ينبغي،وهو من يكثر في كلامه من الخطأ والباطل[28].

* كْمِيْت:فـ"كَمَى صَاحِبَهُ مَا فِي ضَمِيرِهِ": أَخْفَى، سَتَرَهُ عَنْه[29].

(ب)- ذَاك **الغُنْجْ**الخَّنَار خَانْ خَدَه خْضَار زِيْن الوَجْه المسْرار عْيُونه مْدَبْلين

* الغُنْج: المرأة: وغنج: امرأة غنجة: حسنة الدل(الدلال)؛ الأغنوجة : ما تتغنج به المرأة من عبارات وحركات تزيدها ملاحة وقيل: الغُنْج مِلَاحَةُ العَيْنَيْن، والغُنْجُ في الجارية: تكسر وتدلل[30].

2- قصيدة للشاعر محمد بن العربي السجراري بعنوان "دَعْبُوا مْطَالي".

(ب)- مَا طُقت ما هْدَيته مَا **عَيَّط**ماينه يْفَتَت الذْكِير يْرَدَه دْقِيق.

* عيط:(ف:رباعي. لازم). عَيَّطْتُ، أُعَيِّطُ، عَيِّطْ، مصدر تَعْيِيطٌ عَيَّطَ فَجْأَةً": صَاحَ مَرَّة" و "عَيَّطَتِ الْمَرْأَةُ": بَكَتْ[31].

3- قصيدة للشاعر سيدي الحاج عيسى اللغواطي بعنوان "الصْيَادة".

(أ)- **عَلْجَة** مَنْ العْلُوج تْدَوَّخ سَكْرَانة لَبْنَات عَمْهَا تَشْكِي بَلْغيموم

* العِلْج: هي المرأة الغربية، الرجل من كفَّار العجم، والجمع كالجمع، والأُنثى عِلْجة، وزاد الجوهري في جمعه عِلَجة، ويقال للرجل القويّ الضخم من الكفار عِلْج[32]

4- يقول الشاعر أحمد بن حراث بعنوان "عَيْن ابا دحو".

(أ)- قَالَت لي حالي مهْمُوم رَاه مْدَمر اذَا نَحْكي لك يضيق بك **المُوْر**

* المَوْر الطريق المَوطوء المستوي، ومنه قول طرفة:

تُبارِي عِتاقاً ناجِياتٍ وأَتْبَعَتْ وَظِيفاً وظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[33]

(ب)- يَّاذَا العَيْن عْنَاصْرَك رَاهُم**وَكْحُوا** كُنْتِ قَاو وْمَاك بَارد كَصَرْصار.

* وَكْحُوا: قال المُفَضَّل: سأَلتهفاسْتَوْكَحاستِيكاحاً أَي أَمْسَك ولم يُعْطِ.قال الأزهري: أَراد أَمراًفأوكَحَ عنه إِذا كَفَّ عنه وتركه[34].

(ج)- كْلي مَا جَاو لِيْك **خَوْدَات** وراحوا المُرْ فُوقها لي بغني مَشْرَار

* خَوْدات: بالعامية البنات: الخَودُ: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً؛ وقيل: الجارية الناعمة، والجمعخَوْدات[35].

(د)- و**العُكْلي** مَا يْشَدْشْ حَتَى رُوْحُوا طَالَقْ عَوْدُوا على الرْبَاعة في المشوار

* العُكْلِي: كانت تطلق على الرجل الذي لا يستطيع ركوب الخيل،والعَوْكَل: الرَّجل القصير الأَفْحَج، و(الأفحَجُ هو الذي في رِجْليه اعْوِجاجٌ)[36].

5-قصيدة للشاعر الحاج خالد بن أحمد بعنوان"لَوْ صُتْ القُدْرَة".

(أ)- لَوْفْرَايْس وَقْلُوبهم مُوْتَى صَفَاحْ يَنْهْزُوا رِسَانْهُم تحت **الشَّملة**

* الشَّمْلة: يقال هي العمامة التي توضع على الرأس، والشَمْلَةُ: كساءٌ يُشْتَمَلُ به، قال ابن السكيت: يقال اشتريت شَمْلةً تشْمُلُني، والمِشْمَلةُ كساءٌ يُشْتَملُ به دون القَطيفة[37].

(ب)- شَرْبت كُل القلْوب من كَاسْ **الغُصَة** وانْطَبْخَت صْدُورها شُرْفَة وَجْوَاد
* الغُصَة: غَصِصْت بالماء أَغَصُّ غَصَصاً إذا شَرِقْت به أَو وَقَفَ في حَلْقِكَ فلم تكدْ تُسِيغُه.ج: غُصَصٌ، وما اعْتَرَضَ في الحَلْقِ فَأَشْرَقَ[38].

7- قصيدة للشاعر الشارف بن خيرة بعنوان "المَشْياخة".

(أ)-طْرِيْق طْوِيْلَة قَطْعَت كَمْ من **مَلْخَا** الجَاري فِيْها عيَّا وقَلْبَه تْفَسَخْ
* مَلْخَ: والمَلْخُ أَن يمرّ مرّاً سريعاً، والمَلْخُ السير الشديد، قال ابن سيده: المَلْخُ كل سير سهل، وقد يكون الشديد.ومَلَخَ القومُ مَلخةً صالحة، إذا أبعدوا في الأرض[39].

(ب)- رْخَصْ عَزَكْ بَاعُوْك لْلْشَارِي **يَرْخَا** واسْتَفْخَر بِيْكْ شِيْخ حَوَاصْ مَشْيَخْ
* البَرخُ: ثمن بخس، وهو الكبير الرَّخْصُ، لفظ عُمَانِيَّة، وقيل: هي بالعِبرانية أَو السُّريانية. يقال: كيف أَسعارُهم؟ فيقال: برخٌ أَي الرَّخيصُمن الأَسْعارِ[40].

(د)- شِيخْ بْلَا شِيْخ ما ظْهر بِيْن شْيوخَ بْلَا حْمَارة العْجِين عُمْرُو مَا **يَنبخْ**
* يَنبخْ: نبَخَ العجينُ ينبُخُ نُبُوخاً:انتَفَخَ واخْتَمَرَ؛ وعجين أَنْبَخانٌ وأَنْبَخانيٌ: منتفخ مختمر؛ وقيل: هو الفاسد الحامض[41].

(هـ)- الحَامَقْ والسَّخَافْ تَقَبضوا فَخَة وَلَوْ يْطِيْل الحَالْ بِهْ **وَيَتْمَرْنخْ**
* مَرْنخْ: أصلها: "رنخ"الراء والنون والخاء ليس أصلاً، إلا أَن يكون شيء من باب الإبدال يُحمل على الباب الذي قَبْلَه، فيدلُّ على فتورٍ وضعف، يقولون: الرَّانخ: الفاتر الضَّعيف، وربما قالوا رنَّخْتُ الرجلَ ترنيخاً إذا ذَلَّلْتَه، فهو مرنَّخ[42].

وبالتالي ومن خلال هذه النماذج الشعرية نفهم أن الشعر الملحون غني بالمصطلحات والألفاظ الفصيحة، وإن شاعر الملحون يقتس من الفصيح ما شاء ويوظفه كيفما يشاء، المهم عنده إيصال المعنى وتبليغ المقصود.

4- نحو تعليمية الشعر الملحون:

يصور الشعر الملحون ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية بصورة يغلب عليها طابع الشمول، وتطغى على رؤية شاعر الملحون في كثير من الأحيان روح دينية متأدبة صادقة قريبة إلى المثالية والتقديس... فقد كان كثير من الشعراء يجمعون بين علوم

الـدين ونظـم الشـعر بالعاميـة، مـع إنهـم يجـدون التعـبير باللغـة الفصـحى وعـزا الأسـتاذ التلـي بـن الشـيخ ذلـك إلى ضـعف الأدب العربـي في الجزائـر أواخـر الحكـم التركـي مـن جهـة، كمـا أن هـؤلاء كـانوا بعيـدا عـن الحيـاة السياسـية ممـا جعلـهم يلتصـقون بالطبقـات الشـعبية ويتـأثرون بأسـلوبها في التعبير ويستخدمون لغتها في الكتابة[43].

نأخـذ نمـوذج لشـاعر جزائـري سـخّر حياتـه لقـول الشـعر والإغـراق في مـدح خـير البريـة محمـد صـلى الله عليـه وسـلم، ألا وهـو الأخضـر بـن خلـوف، واتخـذ مـن مقـام الرسـول (ص) موضـوعاً لشـعره، فهـو يلـهج بـه في كـل حـين، متضـرعاً إلى الله عـز وجـل وطالبـاً الشـفاعة مـن الـنبي عليـه السلام، ومعترفا بتقصيره وقلة زاده يوم الرحيل.

يمكننـا أن نُدَرسـه لطلبتنـا المتمدرسـين، ففيـه مـن القـيم التربويـة والأخلاقيـة والوطنيـة مـا تجعلـه محـور الـدرس والتحليـل."فلـم يضـارعه أحـد مـن شـعراء الملحـون في المـدح... فـإذا وصـف الطبيعـة أجـاد علـى اخـتلاف أنواعهـا، وإذا وصـف الحيـاة والممـات والحشـر والحسـاب والجنـة والنـار جـد وأفـاد، وإنْ حكـى القتـال صـاح مـن صـميم الفـؤاد مشـغوفاً بسيدي الرجال ومنظراً لرحمة الرؤوف المعتال"[44].

فالشـاعر تجـاوز حـدود المـدح وتعـدى عـالم الزمـان والمكـان إلى عـالم الخلـود الأبـدي حيـث يـروي لنـا أنـه يلتقـي مـع الرسـول (ص) في منامـه فمحمـد (ص) لـيس ذلـك المرشـد الهـادي الصـادق المصـدوق صـاحب الرسـالة فحسـب؛ إنمـا هـو المـلاذ ومفتـاح الرجـاء يـوم انعـدام الرجـاء... وقـدّس شـعره بـذكر الرسـول ليبقـى ذكـر الرسـول مقرونـا بأشـعار بـن خلـوف مـا دام يـذكره الـذاكرون.."وإذا كـان الشـاعر نفسـه لم يجـد إطلاقـا مناسبا لهذا النـوع مـن التعـبير سـوى إطـلاق المـدح، فـإن ميـزة هـذا التصـور تكمـن في البعـد الفكـري الـذي يسـتهدفه الشـاعر...فـإن عظمـة الموضـوع في حد ذاته هي ضرب من الإعجاز"[45].

مما قاله في مدح الرسول (ص)

يَا مُحَمَد لِيْك يَفْزَع مَنْ لَهُ في النّاس وَالِي
لاَ غَيْر مَنَاع يَمْنَع مَنْ سَطْوَة موْلى المُوَالي
لا غَيْر شَفِيْع يَشْفَع مَنْ هُو عُرَة بْحَالي

رَاغَبْ في الدُنيا لوَحْدِي في نَفْسِي شْفِيْت الاعداء
يَا قُطْعَان يدي بيدي ما نفلت حتى بسجدة[46].

وأيضا الشاعر الأخضر بن خلوف هو من الشعراء الذين قرضوا الشعر الحماسي ودافعوا عن القضايا الوطنية، فكان بسيفه حامي حمى وطنه، من أجل الدفاع عن كرامة الجزائر والذود عن شرف البلاد وإعلاء كلمة الله، مثلما سجلته قصيدته "غزوة مزغران" التاريخية بين الجيش الإسباني الغازي والمجاهدين الجزائريين بقيادة السلطان العثماني، وقد استهل الشاعر هذه المعركة:

يَا فَارَسْ مِنْ ثَمَ جِيْت اليّوم غَزْوَة مَزَغْرَان مَعْلُومة
يَا عَجْلَان رَيَض المَلْجُوم رَايْت اجْنَاب ٱلشُّوم مَلْمُومَة
يَا سَيَلْنِي عَنْ طِرَاد الرُّوم قَصَة مَزَغْرَان مَعْلُومَة[47]

ومما قاله في الفخر:

اذَا نعبر بالسيف من شافني رهب الاكراد تهاتي بيا في حين جيل
فايز على ذا القوم والناس شاهدة من وطن سيد الثعالي رايس العلوم
الجزائر خيار مدينة الهدا درت فيها ديوان كبير في الرسوم[48]

ومما قال في الحكمة والموعظة:

ثُوبْ لِلَي خَلْقَكَ وانْشَاك بالثَوْب كْسَاك باللّحَم والدّمْ سْقَاكَ زكي قادر
أَتْفَكَر ليلة الكفان يا إنسان في القبر والظلمة فيها إلا مجمر
لا مصباح لا ضو يبان يا إنسان غير سم اللفعة في اعضاك تبات ترضع[49]

خـــــــاتمة:

إن البحث في ديوان الشعر الملحون يعد لبنة أساسية للنهوض بتراث الجزائر الثقافي، كما يتوجب التأريخ لأعلامه وترجمة سيرهم؛ أي القيام بعملية حفر واستعادة المنسي في هذا التراث قديمه وحديثه...وقد يشارك الشعر الملحون التاريخ في الحفاظ على ذاكرة الشعوب، فهو يسلط الضوء على جوانب تاريخية مهمة لعصر ما ومجتمع ما، قد لا يبوح بها التاريخ، وقد يوصلنا عن طريق المقارنة مع المعطيات التاريخية إلى استنتاجات دقيقة تغنينا عن التسليم المباشر بالحقائق المعروضة أمامنا دون الغوص فيها ومحاولة تقصي مدى مطابقتها مع الواقع.

وبالتالي فالشعر الملحون لون في تراثي مكتنز، وإبداع شعبي متأصل، يتمتع بمقومات الحياة والاستمرارية، ينهض بذاته ويؤثر في

غـــيره، فيجـــب علينـــا تدريســـه في التعلـــيم الدراســـي، وتحديثـــه وتقويـــة أواصـــر التواصـــل بينـــه وبـــين مـــا يـــربط بـــه مـــن قطاعـــات وفنـــون وآداب؛ فهـــو أقـــرب إلى فـــن التمثيـــل وإلى العمـــل المســـرحي والإنتـــاج والقصصـــي والروائـــي، وفيـــه تـــاريخ لشـــعوب والأقـــوام، وفيـــه فضـــاء انتربولـــوجي واجتمـــاعي واســـع، بالإضـــافة إلى كونـــه مدونـــة لغويـــة وصـــوتية ثريـــة بالألفاظ والمدولات...

هوامش:

[1]-Dejeux (Jean).Culture Algérienne Dans Les Textes. Alger. OPU.1986.P16

[2] - قائمة طويلة من قصص وحكايات شعبية ألهمت الأدب الحديث التنوع والثراء أذكر منها: قصة جحا، شهريار، السنباد البري والسنداد البحري، لص بغداد، علي بابا، زنوبيا ملكة تدمر، والمهلهل بن ربيعة، مصباح علاء الدين...

[3]- ونحن نعتقد أن المصطلح المناسب هو"الشعر الملحون"، لماذا؟

لأنه كُتب ملحوناً لكي يتغنى به، أما وصفه بـ "الشعبي"، يدلنا المصطلح إلى أنه غير علمي، أو ذا مستوى منحط، وهذا خطأ، فكثير من شعراء هذا الفن، كانوا حفاظ كلام الله، وتقلدوا الإفتاء، ومناصب بارزة في الدولة والحكومة، وبالتالي فخطاب شعراء الملحون كان موجها للنخبة من الناس وللعامة، باعتبار أن تركيبة هذا الفن الشعري ممزوجة بين اللفظ الفصيح واللفظ العامي.

[4]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر،379/31، مادة "لَ حَ نَ".

[5]-ينظر: المصدر نفسه، 31/ 380.

[6]- ينظر: الأضداد، أبو بكر الأنبار، ص238 ، النهاية، وابن الأثير: 241/4 ، وينظر: العربية، يوهان فك، ص243.

[7]- ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1425هـ، 982/2.

[8]- ينظر: سنن الدارمي، عبد الله الدارمي، كتاب الفرائض، دار المغني للنشر والتوزيع،2000، رقم الحديث: 2760.

[9]- موسوعة الملحون- مقدمة ديوان- عباس الجراري، الرباط، 2008، ص02.

[10]- المحكم، ابن سيدة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 35/2.

[11]- أحاديث الأحكام، محمد بن أبي شيبة، كتاب البيوع والأقضية، رقم الحديث، 3052، 445/5.

[12]- ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، منشورات الحلبي، 1963، 53/3.

[13]- سورة محمد، الآية: 30.
[14]- معجم الفرائد القرآنية، سعيد البسومي، ص101، مادة" ل ح ن".
[15] -Encyclopédie de l'Islam (Nouvelle édition Tome VI -Ed. Maisonneuve et Larose 1987) Malhün par Ch. Pellat.
[16]- مقدمة، ابن خلدون، بيروت، 1961، ص 582.
[17]- ولد محمد الفاسي سنة 1908 بفاس، ودرس بالقرويين وبثانوية المولى إدريس بفاس. يعتبر من المثقفين المغاربة الذين تشبعوا بالروح الوطنية وخدمة التراث المغربي، وتقلد محمد الفاسي مناصب سامية في الدولة المغربية، فقد كان وزيرا للتربية الوطنية والفنون الجميلة في أول وثاني حكومة في مغرب الاستقلال، وعرف باهتمامه بشعر الملحون الذي كرس وقت طويلا لجمع متونه والتعريف بأعلامه وأغراضه وفنونه في كتابه " معلمة الملحون". كما أنه حقق العديد من الرحلات المغربي، ومن مؤلفاته: شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي، والتعريف بالمغرب، ومعلمة الملحون.
[18]- ينظر: معلمة الملحون، محمد الفاسي، نشر أكاديمية المملكة المغربية،1986، 101/1.
[19]- المجلة الإفريقية، 1884، 320/38 وما بعدها.
[20]- ينظر: لغة الملحون، محمد الفاسي، مجلة البحث العلمي، 1965، ص 201.
[21]- الكنز المكنون في الشعر الملحون، محمد قاضي، مطبوعات crasc 2007، ص 11.
[22] - نفسه، ص6.
[23]- الكنز المكنون في الشعر الملحون، محمد قاضي، ص52.
[24]- المرجع السابق، ص154.
[25]- ينظر: الشعر الديني الجزائري الحديث، عبد الله ركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981، الجزائر، ص 364.
[26]- الكنز المكنون في الشعر الملحون، محمد قاضي، ص 250.
[27]- ينظر الشفاهية والتدوين في شعر الملحون، سعيد الحنصالي، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 2002، ص 127.
[28]- ينظر: المعجمالوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص1007، مادة "هذر"
[29]- ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 829، مادة "كمى".
[30]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، 337/2، مادة "غنج".
[31]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 354/07،مادة "عيط".
[32]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 243/07، "علج".

[33]- ديوان طرفة بن العبد، اعتناء: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص27.
[34]- ينظر: تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، طبعة الكويت، ط1، 2001، 116/11، مادة "وكح".
[35]- ينظر: تاج العروس، الزبيدي،117/7، مادة "خود".
[36]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور،466/11،مادة "عَكَلَ"
[37]- ينظر: الصحاح في اللغة، الجوهري، 1793/5،مادة "شَمَلَ"
[38]- ينظر: القاموس المحيط، فيروز أبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،2005، 11/7،مادة "غُص".
[39]- ينظر: الصحاح في اللغة، الجوهري، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، 1990، 431/1، مادة " ملخ".
[40]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 39/3، "برخ"
[41]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 22/3، "نبخ"
[42]- ينظر: مقاييس اللغة، الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 2،444/1979،مادة "رنخ".
[43]- دراسات في الأدب الشعبي، التلي بن الشيخ، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990، الجزائر، ص 49.
[44]- ديوان سيدي لخضر بن خلوف، محمد بخوشة، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، ص 39.
[45]- دراسات في الأدب الشعبي، التلي بن الشيخ، ص 59.
[46]- المرجع السابق، ص60.
[47]- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، منشورات جمعية أفاق مستغانم، الجزء الأول، دار الغرب، وهران، الجزائر، 2006، ص 167.
[48]- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ص 27.
[49]- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، الجزء الثاني، ص 28.